

أهل السنة

القسم الثالث: أهل السنة والجماعة: إن عقيدة أهل السنة أن الله تعالى أعطى العباد قدرة يزاولون بها أعمالهم أو جعل لهم اختيارا يفضلون به بعض الأعمال على بعض؛ فذلك تنسب إليهم أعمالهم، وتضاف إليهم أفعالهم، ولو كانت بقضاء الله وبقدرة وبمشيئته، فإنه - سبحانه - لا يعصى قسرا، ولا يكون في الوجود إلا ما يريد، ولكن له الحجة البالغة. والله - سبحانه وتعالى - يذكر دائما احتجاج المشركين بالقدر، ثم يرد عليهم، وينكر عليهم، مثل قوله تعالى: { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } - هذا احتجاج من المشركين بعموم مشيئة الله - إلى قوله تعالى: { قُلْ قَلِيلٌ لَّيَالِي الْحُجَّةِ الْبَالِغَةُ قَلُوا شَاءَ لَهْدِكُمْ أَجْمَعِينَ } فأخبر بأن له الحجة، ولو شاء لهداهم. ويقول تعالى في آية أخرى: { إِنْ تَشَاءُ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْتَابُهُمْ لَهَا خَاصِعِينَ } فهو - سبحانه وتعالى - لو شاء لهداهم، ولكن اقتضت حكمته أن يكون في هذا الخلق سعيد وشقي، وفاجر وتقي، وكافر ومسلم، ومشرك وموحد، وعابد وغير عابد، اقتضت ذلك حكمة الله - سبحانه وتعالى - واقتضى أمره وحكمته أن جعل الناس قسمين: قسم خلقهم للجنة فيعملها يعملون، وقسم خلقهم للنار فيعملها يعملون. وممكن كلا منهم، وأعطاهم إرادة، وأعطاهم قدرة يزاولون بها أعمالهم، وتلك القدرة وتلك الإرادة هي التي يثابون أو يعاقبون عليها. ومع ذلك فإنهم كلهم تحت مشيئة الله، ولهم مشيئتهم، ولكنها مرتبطة بمشيئة الله، يقول الله تعالى: { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } يعني أن لكم مشيئة على الاستقامة، ومع ذلك فإن مشيئتهم مرتبطة بمشيئة الله. وقال تعالى: { قَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذُكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } . وقال تعالى: { قَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } . فإله أثبت للعباد مشيئة، ولكنها مغلوبة بمشيئة الله - سبحانه وتعالى - وله الحكمة في ذلك، وبمشيئة هؤلاء العباد الذين مكنتهم وأعطاهم إياها، يثابون ويعاقبون عليها. فعلى كل حال نقول لهؤلاء الذين يقولون: (سبق الكتاب)، (وكتب الكتاب) ونحو ذلك. نقول لهم: قد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - { ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة فقال رجل من القوم: ألا تتكل؟ قال صلى الله عليه وسلم: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ: " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى " { أخرجه البخاري برقم (6605)، ومسلم برقم (2647) من حديث علي رضي الله عنه وقد سمعه في البقيع. فقد أثبت الله تعالى في هذه الآية أن للإنسان عملا فقال: { أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ } وهذه كلها أعمال، ثم قال: { فَسَيُسِّرُهُ لِيُسْرَى } أي إذا عمل صالحا كالنقوى والصدق ونحوها فإن سويسره لليسرى. ثم قال: { بَخَلَ وَاسْتَعْنَى وَكَدَّبَ } وهذه أيضا أعمال، قال: { فَسَيُسِّرُهُ لِعُسْرَى } أي إذا عمل أعمالا غير صالحة، كالبخل والكذب ونحوها، فإن سويسره للعسرى. فالإنسان إذن له عمل، وعمله هو أنه يؤمر فيأتمر ويمتثل، ويكون ذلك بمشيئة الله، فلو شاء الله تعالى لم يستطع، ولو شاء الله لرده، ولحال بينه وبين ذلك، لكنه شاء، وله مشيئته التامة، فحلى بينه وبين هذا الاختيار، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وتوعدهم على ذلك: فتوعدهم على الشر بأنه يعاقبهم عليه، وإن كان الله قادرا على هدايتهم. ووعدهم على الخير بأنه يشبههم عليه، وإن كان الله قادرا على إضلالهم. وله الحكمة البالغة بأن خلق هؤلاء للجنة وهداهم، وأقبل بقلوبهم، فله المنة عليهم، فلا ينعمهم إلا بفضله. وخلق هؤلاء للنار، وبعذبهم بها، وإن كان قادرا على أن يهديهم، ولكنه حال بينهم وبين ذلك، ولم يوفقهم لأسباب الهداية، وجعل لهم الاختيار في أن فضلوا إلى الخير، فإن عملوا بالشر وصاروا من أهله، عاقبهم ربهم، وعقوبتهم تكون عدلا منه وليس ظلما: { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } . وبالجملة فإن الكلام في هذا يطول، ومن أراد أن يتوسع في ذلك فليراجع رسالة شيخ الإسلام، وغيرها من الرسائل، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. خاتمة وبعد هذا الجواب المفصل المقنع إن شاء الله فإننا نذكر مثالين - واقعين لكثير من الناس في القضاء والقدر - ، وقد ذكرهما فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - في كتابه: الدررة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ، فقال